بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

2021

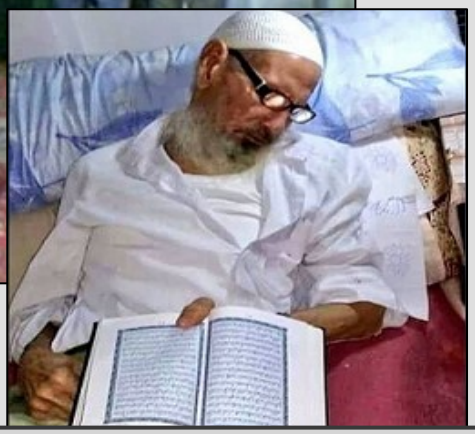

حسن خاتمة

الأعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا

للكاتبة /

أمينة أحمد زادة

تنسيق وتصميم /

أبو الحسن الحناوى

مقدمـة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الأحبة الكرام اخوتي واخواتي في الله

أما بعد .. فقد جاء بالحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ ».

وعلى المسلم الفَطِن أن يَعي هذا الإخبار من رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لأنه ما في أحد من المؤمنين بالله إلا ويرجو الرحمة والمغفرة والرضا من الله يوم القيامة ، بل والجميع يطمعون في جنات النعيم التي أعدها الله لعباده الصالحين.

ولا شك أن العمل لنوالِ هذه الدرجة العالية والمرتبة الرفيعة وهذا الشرف العظيم لا يكون بقليلٍ من العمل الصالح وإضاعة الأوقات وارتكاب الذنوب ثم يتمني على الله الأماني لقول المصطفى ﷺ : « ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة ».

فالجنة تحتاج الى عملٍ وجهدٍ ومراقبةٍ لله عزوجل فإذا ما انتهي العمر وأُذِنَ للإنسان بالرحيل الى البرزخ أول منازل الآخرة يكون قدْ أعدَّ العُدةَ لسكراتِ الموت وسؤالِ القبر وقد دفع مقدماً مهرَ الحورِ العين بالجنة وتهيئ للقاء ربه على أحسن حال ، اسأل الله عزوجل حسن الخاتمة لى ولكل المسلمين .. اللهم آمين.

أخوكم في الله / ابوالحسن بن سعد الحناوى

الأعمالُ بخوَاتِيمها

حياة الإنسان في هذه الدنيا محدودة ، وأنفاسه معدودة محسوبة ، آماله تُطوى ، وعمره يفنى ، وبدنه تحت الثرى يبلى ، يقول ابن مسعود رضي الله عنه : » ما منكم من أحد إلا وهو ضيفٌ [1] ، ومالهُ عاريةٌ [2] ، فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة «

فالكَيّسُ (أى الفَطِنُ) من دان نفسه وعمل لما بعد الموت كما جاء بالحديث [3] والسعيد من ختم له بخير ، والشقي من ختم له بسوء وشقاء..

فمن عاش على شيء مات عليه ،
والأعمال بخواتيمها.

من وفقه الله في حياته بالاستقامة على طاعته والإقبال على الأعمال الصالحة ، والإعراض عما يُغضبُ اللهَ سبحانه ، واستمر في ذلك إلى آخر حياته ، ثبَّته الله عند مماته ورزقه حسن الخاتمة ، وبشرته ملائكة الرحمة برضا الله واستحقاق كرامته وجنته ، كما قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: 30]

---

[1] أى ضيفٌ على الدنيا غير معمر ولاباقٍ فيها .. فأمرُه الى رحيلٍ منها

[2] اسم منسوب الى إعارة أى سُلفة ودَيْن

[3] عَنْ أبي يَعْلَى شَدَّادِ بْن أَوْسٍ رضى الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: " الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا ، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ "

وقد صح عن أنسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله قبل موته « فسأله رجل من القوم: ما استعمله؟

قال:

« يهديه الله عزّ وجلّ إلى العملِ الصالحِ قبل موتِه ثم يقبِضُه على ذلك » رواه أحمد

أما من أعرض عن ربّه [4] ، وأغفلَ قلبَه عن ذكره ، وعطل جوارحه عن عبادته وطاعته ، وعكف على معصيته حتى لقي الله على تلك الحالة السيئة فسيكون أمره فُرُطاً [5] ، ويظفر به الشيطان عند موته وتكون سوء خاتمته ، فتبشره ملائكة العذاب بسخط الله وعقابه.

(بعض الصور التي تظهر بشاعة ميتة السوء ناهيك عمَّا يليها والعياذ بالله)

---

[4] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ طه

[5] ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ الكهف

جاء في الصحيحين قوله ﷺ : » المؤمن إذا بُشّر برحمة الله ورضوانه وجنّته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بُشّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه «.

ثلاثى سوء الخاتمة

- يقول ابن كثير: » إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان فيقع في سوء الخاتمة ، فيكون ممن قال الله فيه :﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: 29]

من أجل ذلك مَزَّق الخوفُ من سوءِ الخاتمةِ قلوبَ السلفِ الصالح والمؤمنين والصادقين ، وخافوا أن تخذلهم ذنوبهم عند الموت فَتحُول بينهم وبين حسن الخاتمة ، علموا أن العبرة بالخواتيم وأن الخواتيم ميراث السوابق وكل ذلك سبق في الكتاب السابق ، فأظمؤوا نهارهم وأسهروا ليلهم وأطالوا سجودهم وبكاءهم.

ورحم الله الحسن البصري حيث يقول:» المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وَجِلٌ خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن « ...

فكيف يأمن المؤمن من عذاب الله وهو يعلم أن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء ثَبّته ، وإن شاء قَلَبَه؟ [6]

وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم ، يقولون: بماذا يُخْتَم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق يقولون: ماذا سبق لنا؟

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: » إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة « رواه مسلم.

وبكى بعض الصحابة عند موته فسئل عن ذلك فقال: » سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله قبض خلقه قبضتين فقال: هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار، ولا أدري في أيٍّ من القبضتين كنت «.

وعندما كان الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه [7] على فراش الموت قال لإخوانه من الصحابة: انظروا هل أصبح الصباح؟ قالوا: لا ، قال: » أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، ثم بكى وقال: يا رب إنك تعلم أني كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك«.

---

[6] عن عَبْد اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ :" إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ " رواه مسلم

[7] صحابي وفقيه وقارئ قرآن وراوي للحديث النبوي من الأنصار، أسلم وهو ابن 18 سنة ، وشهد بيعة العقبة الثانية، ثم شهد مع النبي محمد المشاهد كلها.

ويقول المُزَني [8]: دخلت على الإمام الشافعي [9] في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له: كيف أصبحت؟ فقال: " أصبحت عن الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولكأس المنيّة شارباً ، ولعملي مفارقاً ، وعلى الله وارداً ، ثم بكى وقال: لا أدري أتصير روحي إلى الجنة فأُهنّيها ، أم إلى النار فأُعزّيها ؟"

ولما حضرت الإمام الصالح محمد بن سيرين الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: " أبكي لتفريطي في الأيام الخالية ، وقلة عملي للجنة العالية ، وما ينجيني من النار الحامية."

هكذا كان حال سلفنا الصالح والمؤمنين والعارفين الذين عاشوا على طاعة الله وماتوا على ذكره ، فكيف حالنا نحن؟

نحن الذين نعصي اللهَ ونَأمَنُ من مكره ..

فأين الخوف

من سوء الخاتمة؟

وأين الاستعداد لحسن الخاتمة؟

[8] المزني كان زاهداً عالماً مجتهداً مناظراً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة.

[9] هوأبوعبد الله محمد بن ادريس الشافعي ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي ، ومؤسس علم أصول الفقه ، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث ، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء. وكان الشافعي فصيحاً شاعراً ، ورامياً ماهراً ، ورحّالاً مسافراً. أكثرَ العلماءُ من الثناء عليه.

كيف نأمنُ من سوء الخاتمةِ وقد خُتم بالسوء لِبعض مَن بايع رسول الله ﷺ وجاهد وقاتل وأبلى بلاءً حسناً ، استعجل الموت فطعن نفسه بسيفه ليُريح نفسه من آلام جُرحٍ أصابه... فمات ، فقال النبي ﷺ : « هو في النار» رواه البخاري ومسلم.

فمن لم يتقطّع قلبه حسراتٍ على ما فرَّط في حياته سيتقطع قلبه عند وفاته ويستحق قوله تعالى :﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: 67]

- فليكن الخوف من سوء الخاتمة نُصْب أعْيُننا ،
- وليكن باعثاً لنا على الاستزادة من الطاعة والعمل الصالح ، يقول المصطفي ﷺ : «من خاف أدلج [10] ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » رواه الترمذي.
- لنكن ممن يحظى بحسن الخاتمة ، من الذين قال الله تعالى عنهم :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:102]
- لنـتقِ الله ونبتعد عن كل ما يغضبه ،
- لنطهر قلوبنا من الرياء والعُجْب والكبر والحسد والحقد والضغينة والبغضاء
- لنطهر ألسنتنا من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان ، حتى نكون ممن يبشَّر بالنجاة ويحب لقاء الله فيحب الله لقاءه.

---

[10] أي من خاف أن يُدْرَك وأن يلحقه قطاع الطريق أدلج في السير، اي : سار بغاية النشاط والقوة حتى يقطع السير بسرعة ، وحتى يسلم والدلجة: السير في أول الليل وقيل: في آخره.

نسألُ اللهَ أن يجعل خير أعمالِنا خواتيمها ، وخيرَ أيامِنا يوم نلقاه ، وأن يكون آخر كلامنا عند مماتنا الكلمة الطيبة .. كلمة التوحيد:

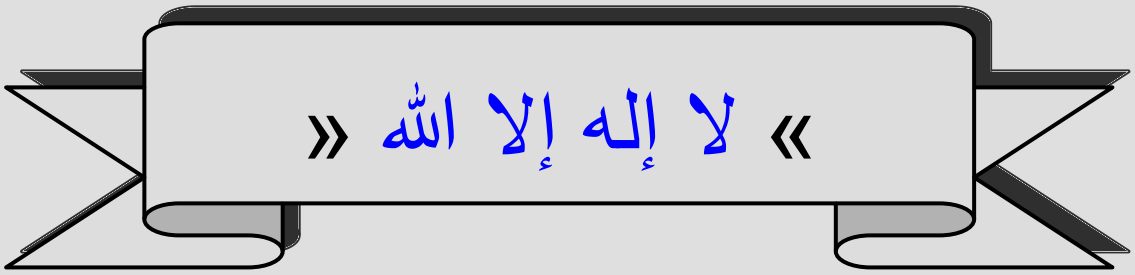

والحمد لله رب العالمين أن أعانني على انهاء هذا العمل الذى أطمع أن يتقبله مني كصدقة جارية وعن والدىَّ وكل من له حق علىَّ ويغفر لى ذنوبي وغفلاتي وتقصيرى أن يحسن لى خاتمتي وسائر المسلمين.

الفقير الى الله / أبوالحسن الحناوى

فيـينا في 14 من فـبراير 2021